

الغريب « جالت في صفحة فكرها وجلبت السكينة إلى نفسها وقالت تحدث زوجها في خفوت ، وقد كادت أن تأخذه سنة من النوم : -

«سيمون! ...» فأجابها في توجس وضيق : «ماذا!؟»  
- « لقد أتيتما على آخر ما عندنا من الخبز ... ولست أدري ما الذى نفعله غداً !! ليتنى أستعير بمضاً من جارتنا « مارثا! ... »

- « إذا امتد بنا الأجل إلى الغد ... فسوف نرزق من حيث لا ندري! ... »

فلبثت المرأة برهة لا تنبس ... ثم قالت في رقة « يخيل إلى أنه رجل طيب كريم ، ولكن ما الذى يحمله على الصمت فلا يكشف لنا جلية أمره!؟ »

- « أحسب أن لديه علة تمنعه! . »

- « سيمون! . »

- « نعم! . »

- « ما بالنا نمطى! وليس تمت من يتفضل علينا بمطاه «  
فأجاب سيمون جواباً ... ثم لم يلبث أن قال لها : - « دعينا من هذا الحديث! ... » وانقلب على جانبه ... وراح يبرى بينيه النوم بعد أن جفاه .!

\*\*\*

وفي الغداة ... أفاق « سيمون » من نومه ، وكانت الأطفال تميث في البيت سياحاً ولهواً ، وانطلقت زوجته لتسأل جاريتها بمضاً من الخبز ... أما الغريب فكان يجلس على مقعده - في ثياب سيمون الخلقفة - يرى طرفه إلى السماء - وفي عينيه توسل ورجاء ، وقد عاد إلى وجهه بهائوه وضيائوه عن البارحة ... فقال « سيمون » في طلاقة ومرح : « هه! ... أيها الصديق ... إن السنب يدعو الإنسان إلى السى وراء القوت ، والمرى يضطره إلى طلب اللبىس ... فغليه أن يهمل ويكد ... فما الذى تعرفه من المهن!؟ »

- « لست أدري شيئاً! . »

فقال سيمون في صوت مليء بالدهش .

- « إن كان للإنسان رغبة في التعلم فسيتم!؟ »

- « وإن لنى نفسى رغبة إلى ذلك! . »



قصة من الأدب الروسى الرفيع :

## « الملاك... »

للفيلسوف الروسى الكبير لوى تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

- ٢ -

—>>><<<—

ولم يكادا يفرغان من الطعام ، ويقومان عن المائدة ... حتى أقبلت « مترونا » على « الضيف الغريب » ... تسائله :  
- « من أى البلاد أنت؟! » فأجابها في صوت شاعت فيه الوداعة « لست من هذه البقاع! ... »  
فقالته دهشت « ولكن . ما الذى رى بك إلى الطريق؟! »  
- « لست أدري! . »

- « أترض أحد لك بسوء!؟ . »

- « كلا! ... لقد طابنى الله تعالى! ... »

- « أما كنت ملقى على قارمة الطريق!؟ ... »

- « بلى عرياناً ومثلجياً ، وقد لهنى زوجك الكرم « سيمون » فأدركته الرحمة فخلع ما عليه ، وألبسى إياه ، وأحضرنى هنا ... فأطمتنى من جوع ، وآويتنى من برد ... وأشفقت على من التشريد والموت ... فجزاك الله خيراً . »

فنهضت « مترونا » وأحضرت له بمضاً من ثياب زوجها القديمة ... وأعدت له مناماً على كسب من التتور يقضى فيه ليلته بان « مترونا » في مضجعهما تنقلب فلم يزر جنبها الكرى وما فتئت ذكرى « الغريب » تراود مخيلتها ...

بدا لها كيف أتى على نصيبهم الأخير من الخبز ... فلم يدع لهم شيئاً إلى الغد ... فأحست بالجزن يساور نفسها .. والألم يتفلنل في قلبها ... بيد أن تلك البسمة التى رفقها إليها « الضيف

إليه فتفحه على مصراعيه ، وترحب بمقدم الضيف الجليل فطاطاً  
الرجل رأسه عند ولووجه الباب ... فلما انتصبت قامت المشوقة  
كاد أن يمس رأسه سقف الفرقة فهض سيمون وانحنى إجلالا  
للضيف وقد سرى إلى نفسه الدهش ... فأرأى مثل هذا الرجل  
في عظمته ورفاهيته فقد كان سيمون هزيباً نحيفاً ، وميشيل  
صدعاً رقيقاً ... كما أن « مترونا » كانت زاوية الجسد ،  
جافة المود ...

أما هذا السيد ، فيخيل لمن يراه أنه من عالم آخر وجنات  
مكتظة مليئة ... ووجه مطهّم شاعت فيه الحمرة الوردية ،  
وجسد زهم كالقيل في هيئته وبدانته ، وعنق أقدم كمنق الثور  
وما أن جلس على القعد حتى قال « من منكم صاحب العمل ؟! »  
فدنا منه سيمون وقال في صوت أحمق من الرهبة « أنا يا صاحب  
السعادة !! »

فصاح السيد بتابعه « هيا ... أحضر الجلد ... يا « فدكا »  
فلما أحضره ، ووضع على المائدة ... قال السيد مشيراً إليه :  
« انظر أيها « الأسكاف » أرى هذا الجلد ؟ . »  
- « أجل يا صاحب السعادة ... إنه أتمن جلد رأيت  
في حياتي ! . »

- « أبتدورك أن تصنع لي حذاء منه ؟! »  
- « أجل يا صاحب السعادة ! . »  
- « أنتطيع ؟! حسناً ... فلا ينب عن بالك لمن سوف  
تصنع هذا الجلد الثمين ... استمع ... ينبغي أن تجعل لي منه  
حذاء أحذيه تماماً كاملاً ... لا يبلى ولا يخلق . أفهمت إن لم  
يكن بمقدورك هذا ، فصارحتي ... فإني أود حذاء أحذيه عاماً  
بأكمله ... وإني لأحذرك الآن وإلا فسوف يكون مستترك  
السجن وإذا لم يبلى في مدى عام ... فسوف أمنحك عشر روبلات  
نظير ذلك ... »

فارتدت فرائص « سيمون » وبجز من الكلام ... والتفت  
إلى « ميشيل » ووكزه قائلاً في همس وحسيس « أناخذ هذا  
العمل على عاتقنا ؟! » فأوما « ميشيل » برأسه موافقاً ...  
فانفجرت أسارير « سيمون » وسرى منه همه وجزعه ... وراح  
يقبس قسم السيد ... يتعرف عسيها ويقدر أخصها ... ويسجل  
ذلك على ورقة تمنيه على صنع الحذاء ... فلما انتهى من ذلك

- « ما ذا تدعى ؟! ... »

- « ميشيل ... »

- « حسناً يا ميشيل ... إن لم تكن في نفسك ترغبة إلى  
أن تحدثنا عن نفسك ، فهذا من شئونك ... غير أنه يجب أن  
تكتسب رزقك ، فإن عملت بما سأشير عليك به .! فسوف نجد  
عندى طعاماً طيباً ، وماوى حسناً ... »

- « جزيت خيراً ... وإني لطبيع لما تقول ! ... »

- « إن ذلك غاية في البساطة ... فانظر إلى . » ثم أمسك  
« سيمون » بخيط ، ولفه حول إبهامه وراح يجده في براعة ...  
فراقبه « ميشيل » ثم أخذ قطعة من الخيط وثناها على إبهامه  
وانفك يجدها كما فعل سيمون وفي براعته وإجادته ، وعلمه  
سيمون كيف يشمع الخيط ويقطع الجلد ثم يخيطه ... فبرع  
« ميشيل » في كل ذلك ... حتى أصبح ماهر البنان كأنه مارس  
تلك الحرفة طيلة حياته ...

كان لا يريح يعمل ويعمل دون توقف ، ولا يطعم غير  
التليل ، حتى إذا ما انتهى من عمله ، جلس صامتاً يحدق في  
سواء الفرقة وفي عينيه ذلك الرجاؤ وذلك التوسل ... ولم يكن  
يخرج إلى الطريق ، بل يظل حبيس الدار ، رهين العمل ،  
لا ينطق إلا بكلمات قلائل يضطر إليها ... وما ضحك يوماً ،  
وما ارتفع لسانه بفكاهة ... ولم ترسم على وجهه ابتسامة أبداً ،  
إلا تلك التي أضاعت على جبينه يوم أن قدمت إليه « مترونا »  
المشاء ... !

\*\*\*

وتتابت الأيام وتماقبت الشهور ... وميشيل يمشي ويميل  
جهده مع « سيمون » ... وجرى اسمه على كل لسان ، وطبقت  
شهرته كل مكان ... حتى طفق الناس يأتونه من كل صوب وفتح  
بماملونه ... حتى ازدهر حاله . وزال عنه بؤس الحياة وعسرها .

كان « سيمون » وميشيل يملآن ذات يوم حينما جلجلت  
بياب دارهم الأجراس فأسرع كل منهما إلى النافذة ، يستجلى  
الأرض ... فأبصرا بعبرة « زلاقة على الثلج » يجرها ثلاثة من  
الحياد الطهمة الصافنة ... تقف بياب الدار ، وخف يتابع إلى  
بابها فتفحه ... فظهر منه سيد جليل مهيب - عليه جبة من  
الغزير الثمين - ووقف بيب الكوخ ، فسارعت « مترونا »

والأشراف ! . وأحسب أن ميشيل يعرف الزيد عنها ... سوف  
لا أتطفل عليه ! . »

فلما فرغ ميشيل من القطع ... أمسك بخيط واحد وراح  
يخيط الجلد - كأنه من الخفاف - لا يخيطين كما تخيط الأحذية  
فعاد الدهش إلى « مترونا » من جديد ... غير أنها أمسكت  
عن تدخلها ...

ومكث ميشيل يعمل حتى وافت الظهيرة ... وقام سيمون  
يلقي نظره إلى ما أمته ميشيل ... فلم يلبث أن راعه ذلك وقال في  
أحيج وعجب : « آه ! . كيف تفعل هذا يا ميشيل ؟ ! لقد لبثت  
مضى سنة بأكلها - لم تأت أثناءها بخطأ قط فكيف تفعل في  
هذه النحلة التي ستوردنا مورد الحلاك ! . لقد قال إلينا السيد أنه  
يود حذاءً . وها أنت قد جعلت له من جلده الثمين خفًا ...  
سوف يثير حنقه علينا وما في قدرتنا أن تأتي له بجلد مثله ...  
لقد حطمت حياتي يا ميشيل ! . »

فما وفيها هو يملك الفاظًا من التوبيخ والعتاب ... حتى  
سمعوا طرقًا على الباب وأبصروا من للنافذة رجلًا يترجل عن  
جواده ويربطه في حلقة الباب ... ففتحت له « مترونا » ...  
وكان ذلك الرجل هو التابع الذي صحب « السيد الجليل » في  
الصباح ... فقال لهم : « لقد بعثت في سيدتي في أمر الحذاء ! . »  
فقال سيمون في جدع :

« ما ذا عن الحذاء ؟ ! »

« إن سيدتي ليس في حاجة إليه ! . فقد مات ! . »

« هه ! . أحقًا هذا ؟ ! »

« أجل ... لقد دمه الموت وهو في مركبته ! . فلما  
بلغنا المنزل ... جاء الخدم بماونونه ... فقد خرجت جسده على  
الأرض كالكيس المتلى ... وقد بعثت في سيدتي لأقول لكم  
إن السيد الذي أنا كم هذا الصباح ليس بحاجة إلى الحذاء ...  
بل ينبغي أن تمجلوا بعمل خف لجسده ... كي أتمله إليها الآن . »  
فقام ميشيل ... وضم بقايا الجلد إلى الخف بعد أن مسحه  
بمؤثرته وسله إلى الخادم الذي انطلق به قائلاً : « وداعًا أيها  
السادة ! ... »

\*\*\*

كرت السنون ... وها هو ذا ميشيل يعيش طامه السادس

قال له السيد وهو يجول طرفه في أرجاء الكوخ .

« لا تجملها تضيق بقدي ! . » ... فلما وقع طرفه على  
« ميشيل » قال في تساؤل :

« من هذا ؟ ! »

« إنه عامل عندي ... وسوف يتشرف بخياطة حذاءك »  
فتحدث السيد الجليل إلى ميشيل قائلاً « أنت يا ذا ...  
لا ينبغي عن بالك أنى أود حذاءً مريحاً ... يمكث عندي سنة ...  
هه ... سنة بأكلها ! . »

\*\*\*

نظر « سيمون » إلى « ميشيل » ... وكان هذا يحدث في  
ركن من الغرفة فوق السيد ... وقد شرد خياله عما هم فيه ...  
. وكان يحدث .. ويحدث ، وعلى غرة ارتسمت على تفره تلك  
الابتسامة المذبة ، وأشرق وجهه وأضاء ... فزجر السيد قائلاً :  
« فيم تملق أيها الأبله ؟ ! خير لك أن تنظر إلى ما يدر  
عليك رزقك ! . »

فقال سيمون « سيدك لك الحذاء يا صاحب السعادة ...  
في الحال ... » فهض السيد وهم بالخروج والغضب يحمر في  
عينيه ، واستقر في عربته فانطلقت تجلجل أجراسها ... فلما  
احتفت في منعطف الطريق ... قال سيمون - وما زال الدهش  
يسيطر على نفسه - « هذا مثال لإنسان جبار ... لا يقتله المرؤ  
ولو بطرقه ... وأحسب الموت يتخوف من جبروته ... فلا يمس  
له جسداً . » ثم حدث ميشيل قائلاً :

« حسنًا لقد أخذنا على طاعتنا أن نصنع حذاءً له ... ولكن  
ينبغي ألا يكون ذلك سببًا في متاعب جديدة ... إن الجلد لثمين  
وإن صاحبه لجاد في طبعه ... فيجب ألا نخيط معه هيا ...  
يا ميشيل ، إن عينيك أدق من عيني ، ويديك أبرع من يدي ،  
فهاك الجلد ، فقطعه حسب المقياس ... وسوف أخيطه أنا ! . »  
فبسط « ميشيل » الجلد على المقطع ثم طواه طية واحدة ...  
وراح يقطعه بالأزميل ...

كانت « مترونا » ترقبه في عجب ودهش ... فقد طالما  
رأت كيف تمخذي النعال وأدركت أن « ميشيل » لا يقطع  
الجلد على طريقة الأحذية ... بل لشيء آخر لا تعرفه هي ، فقالت  
في نفسها « لعل لا أعرف شيئًا عن صناعة الأحذية للسادة

وألقى سيمون بنظرة إلى ميشيل ... ليرى أثر الإطراء  
والثناء عليه ... فوجد هذا جالماً يحدق في الطفلتين الصغيرتين  
فأنتاب سيمون العجب وتولاه الدهش ... حقاً كانت الطفلتان  
جيمتين لها وجنات وردية وشمز معقوص وعيون مجل ... ترتدى  
كلتاهما ثياباً فاخرة من الصوف والقراء ... بيد أن سيمون لم  
يفطن إلى سر تحديق ميشيل إليهما كأنه يعرفهما من قبل !  
كان في حيرة من أمره ... فانطلق يحدث السيدة ويقدر  
الثن معها ... وبعد مساومة وإقرار ... هم أن يأخذ مقياسهما  
فقالت السيدة وهي ترفع قدمها للبت الرجاء « إن هذه القدم  
عرجاء فاعمل لها حذاء على حدة ... أما القدم الأخرى وقدمي  
الطفلة الثانية ... فهي صحيحة متشابهة وحجمها واحد ... إنهما  
توأمان ... »

فجعل سيمون ما قامه على ورقة صفراء ... وقال

يحدث السيدة :-

« ما الذي حدث لها؟! فأصابها بهذا العرج ... إنها  
تبدو جميلة ... أو ولدت هكذا؟! »  
« كلا ... فلقد حصرت أمها قدمها فالتوى ... »  
فتمجبت « مترونا » ونساءمت من تكون هذه السيدة؟!  
ومن تكون هاتان الطفلتان ... فقالت في صوت شاع فيه  
ما يجول في نفسها من دهش .  
« ألسن أمها إذن؟! »  
« كلا ... ياسيدتي الفاضلة ... لست أمها ، ولست  
إحدى قريباتهما ... لقد تبنيتهما ... »  
فزاد عجب « مترونا » وهي تقول :  
« ليستا طفلتيك ... وبحبينهما هذا الحب؟! »  
« ليس لي حيلة في ذلك؟! أطمعهما وأربيهما ... ولقد  
رزقني الله ولداً ولكنني احتسبته ... وما كنت أحسبه مثل  
حبي هاتين الطفلتين ! »  
وظفرت من عيناها دموع حارة ... تألفت في مقلتها ... ثم  
لم تلبث أن انحدرت على وجنتها ... فسحتها في هدوء وحزن  
فقالت مترونا في أسف وتأثر :-

« معذرة ... ما كنت أحسب أن هذا يجلب إلى

نفسك الحزن والألم ... ولكن من هي أم هاتين الطفلتين؟! »

« البقية في العدد القادم » مصطفى جميل مرسى

مع سيمون وعائلته لم يتحول عما درج عليه ... ولم يتغير شيء  
من طبعه ... لا يخرج أبداً من الدار ... ولا يتحدث إلا بمقدار  
ولم يرسم الاقساماة على شفتيه إلا مرتين لا تثلثهما أخرى ...

واحدة حينما تفضلت عليه « مترونا » بالطعام ... والثانية  
حينما كان يحدق في ركن من الرفقة فوق « السيد الجليل »  
وكان سيمون على وفاق مع عامله . ولم يسأله يوماً من أين أتى  
بل كان في خشية من أن يرحد ميشيل عنه ...

وبينا هم جميعاً في الدار ذات يوم ... وكانت « مترونا »  
تضع إناء على النار ، والصنار يحرحون في لهو وعبث ، وسيمون  
جالس يحيط حذاء في يده ... أما ميشيل فكان مستغرقاً في عمله  
على كسب من النافذة ...

ووضع أحد الأطفال يده على كسب ميشيل . ونظر من النافذة  
وصاح قائلاً :

« أنظر ... ياعم ميشيل ، هناك سيدة ممها بنات صغيرات  
يظهر أنها تريد دارنا إن واحدة من البنات تمرج في سيرها ! »  
فألقى ميشيل بجمعه وصارع ينظر من النافذة إلى الطريق ...  
فتمجبت سيمون ، فأرأى « ميشيل » يوماً ينظر إلى الطريق في  
هذه اللهفة ... فدعا ذلك سيمون إلى أن ينظر هو أيضاً كي  
يستبين ذلك الشيء الذي أثار ميشيل . فرأى سيدة حسنة الهندام  
تتجه حقاً إليهم وتقود طفلتين عليهما أردية من الصوف وشماثل  
من الثرو ... يمجز المرؤ عن أن يميز إحداها عن الأخرى إلا  
تلك التي يسترى سابقها اليسرى شيء من العرج .

وولجت السيدة بطفلتها الرفقة ... وقالت في صوت رقيق

« سعدتم صباحاً ... أيها القوم الطيبون ؟ »

فقال « سيمون » :

« سعدت صباحاً ... سيدتي الفاضلة .. ماذا في مقدورنا

أن نعمله لك؟! »

جلست السيدة على مقعد ... وقد التصقت بها الطفلتان في  
خوف ممن في الكوخ .

« أود ... حذاهن من الجلد لهاتين الطفلتين ،

للربيع ! ... »

« إننا لم نصنع من قبل مثل هذه الأحذية الصغيرة ...

غير أننا قادرون على ذلك ... إن مساعدى « ميشيل » أستاذ  
صناع في هذا ! . »